تَصْوِير
Peinture, Painting

صناعة تمثيل الاشباح بواسطة النور والظل او اللون على سطح املس. وللاشباح اهمية كبرى في المباحث العلمية ولكنهُ ليس لها عند المصور الا خمسة اوصاف او مبادئ هي الشكل او الهيئة والحجم او الكمية والنور والظل والتدريج واللون المحلي والبنية . وليس في الطبيعة شيء خالٍ عن هذه الاوصاف المميزة كما انهُ ليس فيها شيء يمثل اكثر منها ولذلك كان حسن التصوير موقوفاً على صحة ادراء الاوصاف المذكورة . واصح الروايات في اصل هذا الفن رواية من ذهبوا الى انهُ نشأ مع الكتابة . وقد ذكر فوغريت في كتابهِ المعنون اصل الشرائع انهُ لما بدأ الاوائل باستعمال الكتابة كانوا يرسمون للناظر ما يريدون طبعهُ في الذهن وقد ثبت بطول البحث والتحقيق ان جميع الامم القديمة ابتدأت بالكتابة على هذا المنوال . وليس من الممكن تعيين زمن مخصوص لبداية هذه الصناعة . قال هيدون انهُ يصعب على المحققين معرفة البلاد التي نشأ فيها التصوير بقدر ما يصعب عليهم وجود بلاد لم يدخلها . ولم نتعرض في هذا المطلب للكلام عن تقدم التصوير عند الصينيين والهنود والفرس والاشوريين والفينيقيين ومن قاربهم من الامم القديمة لان التواريخ لم تذكر في هذا الشان شيئاً يوثق بهِ والمظنون انهم لم يتجاوزوا درجاتهِ الاولى . اما المصريون فقد تعاطوا هذا الفن منذ ازمان متوغلة في القدم وربما كان اقدم ما بقي من صورهم مرسوماً منذ ٤ الاف سنة وهو متقن الشكل بادي الهيئة . وتقسم الصور المصرية الى ثلاثة اقسام . اولها ما هو مرسوم على جدران القبور والهياكل . والثاني ما هو مرسوم على توابيت المومياات واثوابها . والثالث ما هو مرسوم على ورق البردي . والاول اكثرها واحتها بالالتفات وان كان ليس فيهِ شيء من الصور البديعة لان معظمهُ رسوم رمزية توضح ما كانت عليهِ الامة من المدنية والدين والسياسة . وكان الحفر والتصوير يستعملان في الاصل معاً ويعتبر ثانيهما تابعاً للاول فلم يكن المصورون يستخدمونهُ الا في تلوين التماثيل والنقوش النائتة والغائرة ثم انتقلوا من هذه الخطة تحت قوانين وضعها لهم الكهنة فرسموا ما رسموا من الصور المتقنة التي تمثل عادات المصريين القدماء وملابسهم احسن تمثيل . قال بلينيوس وكان يحظر على المصورين والحفارين ان يتفننوا في صناعتهم او يزيدوا شيئاً على ما الفوا رسمهُ وحفرهُ ولذلك ترى صورهم ومحفوراتهم على نسق واحد لم يتغير مدة الوف من السنين ولا ظهر فيهِ من التوسع ما ظهر في صور اليونان وغيرهم من الامم . ولا ريب ان سلوك اهل الصناعة بموجب القوانين التي سنت لهم جعل لمصنوعاتهم اوصافاً ثابتة وغايات واحدة يعجب منها كل من جال في وادي النيل ولكنهُ ليس فيها من الدقة الصناعية ما يذكر فيشكر . وقد اقتصروا في تصوير الاشياء الطبيعية على رسم اشكال يلونونها بغير الوانها . اما تصوير الجمال فليس لهُ عندهم اثر والظاهر انهُ خفي عليهم ايضاً تصوير المناظر الطبيعية والتصوير الجامع بين النور والظل وفن التركيب فكانت عادتهم ان يلونوا الرجال والنساء بلون احمر والبهائم بلون اسمر والطيور بازرق واصفر وغيرها بالوان اخرى يتبعون فيها احكام قوانينهم دون ان يراعوا الظاهر الطبيعي . وكانوا في بعض الاحيان يطلون الصور بعد ان تكمل بشيء من الغراء او الراتنج وبذلك حفظت الوانها مدة طويلة . وازهى ازمان التصوير في مصر هو من سنة ٤٠٠٠ ق م . الى الفتح الفارسي سنة ٥٢٥ ومن ثم اخذ في الانحطاط وزها بعدهُ التصوير اليوناني في اوائل التاريخ المسيحي . والظاهر ان بلاد اليونان اخذت التصوير عن مصر واسيا كما اخذت غيرهُ من الفنون وكان قبل القرن الخامس ق م . محصوراً تقريباً في التزويق والتمثيل لا يستعمل الا لتزويق الهياكل وتلوين النقوش ورسم اشكالها وما اشبه . ثم شبت نيران الحرب بين اليونان والفرس فنشأ عنها نمو القوى العقلية في بلاد اليونان واخذ التصوير في اكتساب اوصاف مخصوصة وصار صناعة مستقلة فزها وازهر الى ما بعد وفاة الاسكندر . اما الزمن الذي تقدم غزوة الفرس فربما صح ان يعرف بزمن التصوير

الميثولوجي وفيهِ تقدم المصوّرون تقدمًا تدريجيًّا حتى كانوا يتقنون الصناعة وكان السبب في ذلك اخلاق الشعب وروح دينهم فان حب الجمال كان عند اليونان مبدأً دينيًّا وكانت الهتهم مثالاً لهُ وكانوا يميلون طبعًا لرفع الشكل البشري الى درجة عالية من الكمال فلما استخدم التصوير والحفر لتأييد الدين باظهار هيئات الالهة اليونانية لاعين الشعب بذل الصناعيون تمام العناية والجهد في ما كانوا يصورون وافرغوا على الالهة صنوف حلل الجلال والمجد والبهاء . واستمروا على اجتهادهم ونشاطهم اجيالاً متوالية فتيسر لهم بفرط حذقهم وذكائهم ان ينقلوا الفن من حالة التقييد والتاخر التي كان عليها عند المصريين الى حالة حيوة وحركة وحرية فكان الصانع المصري يرسم الصورة البشرية كما اخذ عن اسلافهِ دون تصرف اما اليونان فجدوا في ايصالها الى درجة الكمال ولذلك برعوا جدًّا في اظهار الهيئة واللون . وليس لفن التصوير في بلاد اليونان تاريخ صحيح من قبل ان قدم بوليغنوتوس الثاوسي مدينة اثينا وكان قدومهُ نحو سنة ٤٦٣ ق . م . ومن ذلك الوقت صارت اثينا اماًّ للفنون المستظرفة مع ان اكثر مشاهير المصورين اليونانيين لم يولدوا فيها وحصل لبوليغنوتوس المذكور شهرة عظيمة فلقبهُ ارسطو بمصور الاوصاف وذكر غيرهُ من المولفين اليونانيين انهُ كان من ابرع المصورين القدماء في اظهار دقائق الهيئة واللون وقد استخدم في تزيين كثير من ابنية اثينا العمومية وصوّر ثلاث صور مشهورة مثل فيها الوقائع الخطيرة التي رواها اوميروس واهداها الى الليسيوم وهي دار عمومية كانت بقرب هيكل ابلون في دلفي فلما رآها بوسانياس بعد ذلك بستمائة سنة اخذتهُ الحيرة والدهشة من حسن صناعتها غير ان هذه الصور لا تكاد تحسب تاريخية في هذه الايام لانها لا تمثل الحوادث والاشباح بل تشير اليها ولم يعتنِ اليونان في تصوير الحوادث الواقعية وتبيين تفاصيلها لان افكارهم انصرفت الى تمثيل الحوادث الشعرية . وممن اشتهر ايضًا من مصوري المدرسة الاثينية التي يعتبر بوليغنوتوس مؤسسًا لها ديونيسيوس الكولوفوني وكان بارعًا في تصوير الهيئة ومعاصرًا لموسس المدرسة وقال فيهِ ارسطو . انهُ يصور الناس كما هم . ونبغ بعدهُ ميكون فامتاز بتصوير الخيل واشتهر ايضًا بانينوس الاثيني وانانال الايجيني ثم نبغ ابلودوروس نحو سنة ٤٠٤ ق . م . فتوسع في مبادئ النور والظل . وذهب بلينيوس الى ان التصوير الذي كان الى ذلك الوقت بطريقة الحفر صار بطريقة تشخيصية ودخل في مدرسة اثينا ما يسمى بالتصوير الاسيوي او اليوناني الذي كان زفكسيس وباراسيوس وتيمنثس اكبر المعلمين لهُ وذلك هو ما يسمى بالعصر القديم للتصوير اليوناني وكانت مدرسة بوليغنوتوس اول مدارسهِ وقد فاق زفكسيس وباراسيوس غيرهما في تصوير الجسم الحسي فان صورة هيلانة التي صورها زفكسيس كانت احدى عجائب الصناعة القديمة وكان لصور المعبودات والابطال الكثيرة التي صورها باراسيوس شهرة عظيمة . ثم ان اوبيوس السيكيوني وهو اخر مصور لذلك العصر مشهور جدًّا قد بالقرب من عهد فيلبس المكدوني مدرسة التصوير المسماة اليهِ وكانت تلك المدرسة مزينة بالمعارف العلمية والصناعية والبراعة في التصوير والدقة فيهِ . وكانت اخر مشهد للتصوير اليوناني او كما يقال اخر عصر الاتقان فاخذ العرض من ذلك الوقت يغلب على الجوهر ويبلغ الظرف الخارجي حدًّا ومن اشهر مصوري ذلك العصر بمفيلوس . ثم بعد ايام الاسكندر اخذت هذه الصناعة بالانحطاط حتى انهُ بعد اواسط القرن الثالث قبل الميلاد لم يشتهر احد تقريبًا في هذا الفن . وفي عصر الرومانيين انتعش فن التصوير قليلاً وسلبت مفاخر الابنية العمومية لتزيين اروقة روما وهيا كلها فادى ذلك الى سحق هذه الصناعة في كل مكان من بلاد اليونان . وكان اليونان يصورون صورهم بالغرا والحليب او زلال البيض على الخشب والطين والحجر وفي اخر المدة كانوا يصورونها على القماش وكان المصورون الى ايام البُلس يستخدمون اربعة الوان اصلية وهي الابيض والاحمر والاصفر والاسود وكانوا يركبون منها كل ما ارادوا ان يركبوهُ من الالوان والاصبغة

اما الرومانيون فقد اخذوا هذه الصناعة عن اليونان راسًا . انهُ مع شدة رغبتهم فيما وما جمعوهُ من اعمال القدماء من تلك البلاد لم يكن لهم مدرسة خاصة بالتصوير الا ان خزائن هذه الصناعة كثرت في رومية بواسطة عناية القواد والامبراطورين من ايام مرشلوس وما يليها وصارت المدينة بذلك اعجوبة عظيمة ثم ان تلك الذخائر نقلها قسطنطين وخلفاؤهُ الى القسطنطينية وما بقي منها في رومية اتلفته النار والحروب . وكان التصوير في اغريقية على الاكثر دينيًا منحصرًا في المياكل والابنية العمومية واما الرومانيون فقد ادخلوهُ باكرًا في البيوت حتى لم يكن بيت من بيوتهم يحسب تامًا ما لم يكن في كل قسم من اقسامهِ صورة تزينهُ ولما وصل فن التصوير الى ما وصل اليهِ من الانحطاط كانت الديانة المسيحية قد امتدت الى اقسام كثيرة من العالم فحاول اتباعها قبل ايام قسطنطين عمل صور رمزية للدلالة على اشخاص مقدسين واعمال مقدسة فانهم كانوا يرمزون بصورة الحمل الى المسيح وبصورة الكرمة واغصانها الى المسيح وتلاميذهِ وبصورة السمك الى المعمودية وبصورة السفينة الى الكنيسة وبصورة الصليب الى الفداء . وعندما كثر المرتدون من اليهود في الكنيسة الاولى المسيحية كان يصور المسيح اتباعًا لبعض ايات في العهد القديم خاليًا من كل جمال واول من اصدر امرًا بان يصور المسيح بكل صفات الجمال التي يمكن للصناعة ان تصورهُ بها البابا ادريانوس الاول وذلك في اواخر القرن الثامن للميلاد وقبل ذلك بقرن تقريبًا اي سنة ٦٩٢ اذن مجمع القسطنطينية بان يعمل لهُ صورة شخصية عوض الصورة الرمزية واكثر آثار الصناعة المسيحية في القرون الثلثة الاولى يوجد على جدران او اسقفة مدافن رومية فانهُ وجد في مدفن القديس كالكستوس صور كثيرة لقصص وامثال ورموز من الكتاب المقدس مخلوطة احيانًا ببعض رموز وثنية وكذلك صورة المسيح كالراعي الصالح وهي اقدم صورة معروفة صورت في تلك الايام وربما جعلت مثالاً لصور اخر . ولما وطد قسطنطين اركان الديانة المسيحية وتمكن مزينو الكنيسة القديمة الانقياء من ان يخرجوا من ظلمة المغائر نقلوا مصنوعاتهم الى الابنية العديدة التي اعطيت للديانة الجديدة ولكن قبل ان تمكنت صناعة التصوير المسيحية من البلوغ الى درجة معتبرة ممتازة عاقت الحروب الاهلية وغزوات البرابرة تقدمها في ايطاليا فصارت القسطنطينية في القرن السادس مركزها الاول وخلف في ذلك الوقت التصوير على الحيطان عمل الفسيفساء حتى ان اعظم آثار صناعة التصوير منذ ٤ او ٥ قرون انما هي الفسيفساء في الكنائس والنقوش في الكتب الدينية . وفي القرنين الثامن والتاسع اخذ محاربو الايقونات في الكنيسة الشرقية يبذلون جهدهم في اتلاف مصنوعات هذه الصناعة ولكن مع الدرجة المنحطة التي وصل اليها المصورون من اليونان وصورهم بقيت القسطنطينية من القرن السابع الى الثالث عشر العاصمة العظيمة للصنائع وفي تلك الازمان كانت الطريقة البيزنطية غالبة في كل فرع منها . وكان البيزنطيون يصنعون الصور على الاكثر لمقاصد دينية وصار لها بالقرب من بداءة القرن التاسع هيئة خالية من الجمال وقد بقيت لها تلك الهيئة الى هذه الايام على ان الصور البيزنطية الصحيحة لا تصنع الآن الا في اماكن قليلة من بلاد روسيا واليونان . وصفاتها المميزة طول الاعضاء ودقتها وجمود الهيئة وخلو الاعضاء من الوضوح وطول العينين وضيقهما ولون اخضر مسود للجسد كريه المنظر وصفات اخر لا اساس لها في الطبيعة مع كثرة التذهيب . وكان المصورون رهبانًا او اشخاصًا يسكنون الاديرة يقتصرون على حرفة التصوير . وكانت الموضوعات واحدة تقريبًا وهي العذراء وولدها مكللين وصور تاريخية للتاريخ او الرموز المقدسة . ولما غزا البنادقة القسطنطينية سنة ١٢٠٤ زادت المداخلة بين البيزنطيين والايطاليان فكان ذلك باعثًا على تنبيه الافكار الى احياء الصنائع في ايطاليا والمغرب . وقد انتقل كثيرون من المصورين البيزنطيين الى ايطاليا وجرمانيا واخذ منهم الايطاليان واقيم في البندقية وبيسة وسيانا في اوائل القرن الثالث عشر ما صار فيما بعد اساسًا للمدارس الاولى في ايطاليا ولكن بينما كانت سطوة الديانة

الوثنية في الامبراطورية الشرقية اخذة في السقوط شيئاً فشيئاً كانت تاثيراتها لا تزال ظاهرة في اخلاق شعب ايطاليا واداتهم وصناعتهم وبعد قرون ذات قلاقل واضطراب ظهر تمدن جديد نشيط دخل فيهِ كثير من الامور القوطية الا ان سطوة الديانة المسيحية كانت هي السائدة فيهِ بحيث لم يكن ممكناً للصناعة ان تكون خاملة وخالية من التقدم والنمو . وكان المصور يشترك في الحماسة الدينية التي كانت ترافق كل الاعمال فكان يقصد في تصويرهِ فخر الديانة المسيحية وخير بني البشر فكان يرى ان صور المدرسة البيزنطية الخالية من الظرف والرونق غير كافية لمقاصد صناعية فساقهُ ذلك الى تقليد الطبيعة باكثر تدقيق واخذ مهرة المصورين يصرفون النظر شيئاً فشيئاً عن الصور المقبولة عموماً التي جعلها استعمال مدة قرون مقدسة الى ان وصلت الصناعة في اوائل القرن السادس عشر الى اوج مجدها .

وينسب احياء الصناعة في ايطاليا الى جوفني تشيمابويه الفلورنسي المتوفى سنة ١٣٠٢ البيلاد وكانت تسكانا مركزاً لهذا الاحياء وبقيت مدارسها مدة اكثر من قرنين في الرتبة الاولى في هذا الفن . ثم ان مدرسة فلورنسا التي انشاها جيوتو كسفت في القرن الخامس عشر مدرستي سيانا وبيسة وكان تقدم الفن قبل ايامهِ منحصراً في ابدال الصور الرمزية بصور بشرية وقد خطا المصور المذكور الخطوة الثانية الخطيرة من التقدم برفضهِ اللون الاسود الذي كان اسلافهُ قد حافظوا عليهِ متابعة لما كان عندهم من الصور البيزنطية وادخالهِ لوناً اكثر صفرة واشد مطابقة للطبيعة وكان يتعاطى عمل التصوير في اعظم مدن ايطاليا من نابلي الى ميلان وليس في صورهِ التي على جدران كنيسة ارينا في بادوا وفي كنيسة الفرنشسكانيين في اسيسي شيء من آثار الطريقة البيزنطية وكان تلاميذهُ والمقتدون بهِ يقتصرون في الاكثر على تقليد ما تركهُ لهم من الصور الا ان بعضهم سلكوا في الطريق الذي كان قد فتحهُ لهم فاكسبوا بذلك الصناعة تقدماً ورونقاً وكان من جملتهم اندريا اركانيا الذي حسبت صورهُ افضل من صور جيوتو نفسهِ في الجلال والعظمة وكان من جملة المعاصرين لجيوتو والمشهورين نظيرهُ تقريباً تشيني وهو مولف اقدم رسالة ايطالية في التصوير وفرنشسكو دافلتزا . ولم يتجاوز احد من هولاء المركز الذي وصل اليهِ جيوتو . وفي آخر القرن الرابع عشر كان تاثير صناعتهِ يرى في تسكانا وفي سائر ايطاليا حتى في ما وراء الالب على ان الصناعة كانت لم تزل في حالة بعيدة عن الكمال وكان المصورون لا يصورون الاشخاص الا نادراً ولم يخطر لهم ببال ان تصوير المناظر هو فرع من تلك الصناعة ولا تقرر عندهم دستور صحيح لصناعتهم وكان الغرض من التصوير دينياً فقط الا فيما ندر وكانوا يستخدمون موضوعات من الميثولوجيا الوثنية او التاريخ اليوناني وذلك لاجل ايضاح الوحي المسيحي او تعاليم اللاهوت الادبي فقط واذ كانوا مشاركين لخدمة الدين في تعليم الشعب كانوا يصرفون جهدهم في جعل صورهم مؤثرة اكثر من صرفهِ في دقة الصناعة واتقانها ولذلك كانت صورهم مع مابها من النقص تفوق في تاثيرها والوفاء بالغرض المقصود منها الصور التي صنعت في عصر رافائيل الزاهر .

وفي القرن الخامس عشر تقدم فن التصوير كثيراً وفي اواخرهِ صارت فلورنسا في عهد بيت مديشي اشهر عاصمة زاهرة للتصوير وكان لماستشيو الذي صرف النظر عما كان في عصرهِ من صور البشر وبذل جهدهُ في درس الفن آخذاً اياهُ عن الطبيعة فضل اقامة عصر عظيم لصناعة التصوير في ذلك القرن وبقيت صورهُ دستوراً يقتدى بهِ الى قرب زمان رافائيل وكان من معاصريهِ او بعدهُ بقليل فرا انجليكو دي فياسولي الذي اشتهر بالصور الدينية المؤثرة التي اتحف بها الصناعة وكان فيليبو ليبي من اقدم المصورين الذين جعلوا الديانة غاية ومقصداً لصناعتهم وبينوتسو غوتسولي وميشل انجلو وغيرهم . وقد خلف الايمان الحار البسيط ومعاملة المصورين القدماء الروحية ميل العصر الى الاشياء الحقيقية ولم يترك للتصور والحاسيات الا اشياء قليلة وحوض التاريخ المقدس والقصص الكنائسية اخذت الميثولوجيا اليونانية التي كشفها احياء الاداب والصناعة اليونانية الحديث

للعموم وجعلها مانوسة عندهم في تقديم موضوعات المصورين وكان الفضل الصناعي يتقدم بسرعة الى اعلى درجاتهِ . وزيادة الثروة والتنعم كانت تزيد عدد الصور لمقاصد خصوصية . واشتهر كثيرون من المصورين الفلورنسيين في هذا القرن . وفي الربع الاول من القرن السادس عشر صلت صناعة التصوير الى اعلى درجاتها الا انها اخذت قبل اواسط ذلك القرن في الانحطاط في فلورنسا وسائر ايطاليا . ه البندقية فيما قيل وكان اكابر المصورين يسقطون الواحد بعد الاخر فكان يخلفهم جماهير غير بارعين في صناعتهم فيصورون بسرعة وبدون اعتناء لكي يرضوا طلبة الصوَر الذين كان يزيد عددهم على الدوام الا انهم لم يكونوا يسالون عن حسن الصناعة وكان في الصوَر التي يصنعونها لمقاصد دينية من الامور الارضية اكثر مما كان فيها من الامور السموية وقد قال احدهم وهو فاساري نحن نصور ٦ صور في السنة واما المصورون القدماء فكانوا يصرفون ٦ سنين على صورة واحدة على انهُ في القسم الاخير من هذا القرن ظهر في مدرسة فلورنسا نجاح جديد وادخل مودوفيكو كاردي طريقة جديدة امتازت بالاتقان وجودة الالوان ولم يشتهر من اتباعهِ الا كارلو دولشي وكان ماهرًا في تصوير رؤوس الاناث . وفي اواسط القرن السابع عشر ادخل بيترو من كرتونا طريقة من التصوير زهرية للزينة وليس بعد هذا من التصوير الفلورنسي ما يستحق الذكر الا ما ندر . والظاهر ان التصوير لم يتقدم الا قليلاً في البندقية قبل ايام جيوتو والصوَر التي صنعت في القرن الرابع عشر لم يكن لشيء منها كبير اهمية وجزيرة مورانو الصغيرة تحسب مبدأ لصناعة التصوير في البندقية وبحسب جوڤني وانطونيو دامورانو مع تلميذيهما برنولوميو ولويجي ڤيڤاريني اول معلميها فاتهم بواسطة المداخلات التجارية وقفوا على صور المصورين الجرمانيين والفلمنكيين وكان جنتيلي وجوڤني بليني ابنا جوزف بليني المصورَين الاولين العظيمين لتلك المدرسة وهما من جملة من جعل التصوير بالزيت مكان غيرهِ من المواد . واول القرن السادس عشر كان عصرًا جديدًا في تاريخ تلك المدرسة وكان جورجيوني وتيتيان البلّنيان قد اخترعا ببراعتهما طريقة جديدة للتصوير بالوان ذهبية وصوَّرا صور مناظر ببراعة تامة اما جورجيوني فتوفي باكرًا واما تيتيان الذي عاش زمنًا طويلاً بعد معاصريهِ من ابناء القسم . ول من ذلك القرن فقد بلغ درجة عليا في صناعتهِ وصوَّر صورًا تاريخية وجغرافية جعلت مدرسة البندقية في الرتبة الاولى من جهة اللون وكان اعظم مصوّر لهيئة النساء المجردة . وكان من جملة معاصريهِ والمقتدين بهِ جوڤني انطونيو من بوردينوني الذي يقال انهُ فاق تيتيان في امر التلوين . وفي اواخر النصف الاخير من ذلك القرن نبغ ثلثة مصورين لم يكونوا اقل شهرة من تيتيان وهم جاكوبو روبستي وباولو كالياري وجاكومو من بونتي واولهم ويدعى تنتورتو كان من انشط واسرع المصورين والثاني ويدعى ڤيرونيسي كان بارعًا في التلوين وكان مولعًا بالمناظر الاحتفالية والملبوسات والابنية الناخرة والثالث ويسمى بسّانو كان اقدم واحسن مصوري الايطاليان في التصوير الوصفي الا ان طريقة هولاء المصورين البندقيين فسدت بيد خلفائهم حتى انهُ لم يوجد في تاريخ المدرسة التابع لهم مصوّر مشهور عظيم . ولمدرسة بادوا تعلق عظيم بتاريخ مدرسة البندقية الاولى وقد جعل لها فرنشسكو سكوارشيوني نشاطًا جديدًا في النصف الاول من القرن الخامس عشر فان مجاميعهُ من الرسوم والتماثيل القديمة احدثت تاثيرًا عظيمًا في اتقان الهيئة وفي الصناعة في كل ايطاليا الشمالية وكان اندريا منتينيا اعظم مصور نبغ في شمالي ايطاليا الى وسط القرن الخامس عشر واشهر تلامذتها وقد اسس مدرسة منتوا التي نبغ منها كثيرون من اشهر مصوري لمبردیا . واما المدرسة الرومانية فقد نشأت راسًا من مدرسة امبريا وهي مقاطعة كان اهاليها مشهورين في الغيرة الدينية . ومن اشهر مصوّريها بتروبير وجينو وهو احسن مصوري مدرستهِ الى ايامهِ وكانت صورهُ مع خمولها لطيفة وخاشعة وكان لهُ تلاميذ كثيرون منهم رافائيل سنتسو الاربيني الذي اسمهُ كسف اسماء الباقين وقد وصف بكونهِ اول المصورين ولا نظير

تصوير

لهُ في عمل الصاوير الرمزية والتاريخية ولم يفقهُ احد في صحة الاداء في التصوير ولم يقرب منهُ احد قط في الاختراع والتركيب او الدلالة ويكاد لا يكون لهُ نظير في الرسم وصوَرهُ في الڤاتيكان وصور العذراء من قلمهِ وصور العيال المقدسة وصوَر المذابح العظيمة ورسومهُ على الورق تدل على اعظم اجتهاد في الصناعة الحديثة وقد جعلت طريقتهُ طريقة يقتدى بها ليس في رومية وحدها بل في العالم كلهِ وكان لرافائيل تلاميذ كثيرون يقلدونهُ ولكن بعد موتهِ سنة ١٥٢٠ حاد اكثرهم عن طريقتهِ ولم يمضِ الا قليل حتى خسروا كل آثار صناعة معلمهم الكريمة واقتدارهِ . ثم ان نهب كونتابل دوبوربون لرومية سنة ١٥٢٧ نشأ عنهُ تشتت اتباعهِ الذين كانوا حينئذٍ في رومية فاخذوا معهم الى كل اقسام ايطاليا طريقة مزورة كانوا يسمونها رافائيلية . وكان من تلامذة رافائيل جوليو رومانو وهو من اشهر تلامذتهِ في اقتدارهِ الطبيعي وتيبالدي وغيرهما كثيرون وهم الذين اخذوا عن رافائيل طريقتهُ وادخلوها الى فرنسا واسبانيا . والصورة التي صورها ميشل انجلو للدينونة الاخيرة في كنيسة سستيني سنة ١٥٤١ سافت كثيرين من المقلدين الضعفاء الى تقليد طريقتهِ . ثم اتى بعدهم جوزف شيساري من اربينو وميشل انجلو تاراڤاجيو اللذان كانت طريقتهما مبنية على تقليد طبيعي محض وقد خلف هولاء الكارتشيون واتباعهم الذين نبغوا في القرن السابع عشر . وفي القرن الثامن عشر انتهى تاريخ تلك الصناعة باندريا سكي وكارلو مارَتي ورافائيل منغس واولهم مصور فاضل واما الاخير فكان تصويرهُ خاليًا من الطلاوة والاتقان

واما مدرسة بولونيا فلم يكن من تلامذتها احد كبير الاهمية الى اواخر القرن الخامس عشر الذي نبغ فيهِ فرنشسكو فرنشيا وهو صديق لرافائيل ولم ترَ تلك المدرسة ازهى عصرها الا نحو سنة ١٥٨٥ عندما انشأ لودوڤيكو واغسطينو وانيبالي كارتشي اكاديميتهم المشهورة . وكان من مقاصدها الاساسية ان تجمع بين ادق درس الطبيعة وتقليد احسن اعمال المصورين القدماء . ومن جملة مدارس ايطاليا الشمالية مدرسة بارما وهي اشهرها وكان اعظم زينة لها انطونيو الغري الذي اوصل في القسم الاول من القرن السادس عشر صناعة تصوير الظل والنور والتصوير الناتئ الى درجة الكمال وكان من اجل صفات صوَرهِ اللين الجذاب واللطف . وقد انشأ ليتومندو من فنتشي في ميلان مدرسة زاهرة وصوَر هناك صورًا هي من احسن صورهِ ومن جملة تلامذتهِ ماركو دواوجيتوني الذي صوَّر العشاء الاخير عن صورة عمل معلمهِ وتلك الصورة توجد الان في المدرسة البريطانية الملكية . وفي اوائل القرن السابع عشر انشأ البروكشيتيون مدرسة انتخابية في ميلان . واخر مصور نابلي مشهور هو لوقا جيوردانو الذي لسرعتهِ في العمل لقب بما ترجمتهُ سريع الجري

واما جرمانيا فمع انهُ قد وجد فيها فن التصوير منذ ايام الكارلوفنجيين لا يعرف الا قليل عن احوال مصوريها قبل القرن الثالث عشر وفي النصف الاخير من القرن الرابع عشر صار لمدرسة كولونيي شهرة كبيرة في ايام ميستر ولهلم اوويليم الكولوني الذي قيل انهُ كان احسن مصور في جميع البلاد الجرمانية وكان يصوّر جميع انواع البشر كانهم احياء والصور الموجودة في كولونيي المنسوبة الى ويليم المذكور وتلميذهِ ميستر استيفن فمع ما بها من القساوة القوطية التي هي من صفات جميع الصور الجرمانية التي صورت في القرون المتوسطة هي معتبرة لجودة تلوينها واحكام صنعتها وشدة تعلقها بالمبادئ الدينية وقد انشئ في ذلك الوقت مدرستان في نورنبرغ وسوابيا معاصرتان للمدرسة المذكورة وقد ارتقت صناعة التصوير في القرن السادس عشر في جرمانيا بواسطة البرخت دورر تلميذ ميشال ولجموث النورنبرغي الذي كان ممتازًا كمصوّر وحفّار ونحّات وكان لوكاس كراناخ في ذلك الوقت رئيسًا لمدرسة صكسونيا المعاصرة وكانت لهُ نفس الشهرة تقريبًا التي كانت لدورر نفسهِ وقد نبغ مصورون اخرون كثيرون مشهورون ارتقت بواسطتهم صناعة التصوير في تلك البلاد الى درجات اسمى ثم صار الجرمانيون يقتدون في هذه الصناعة بالمدارس الانتخابية التي كانت في

هولاندة وايطاليا ولم يشتهر منهم قبل القرن التاسع عشر الا قليلون

واما مدرسة التصوير الفلمنكية فابتداء تاريخها من ابتداء القرن التاسع عشر حين قام هوبرت وجان فان ديك في بروج وتقاطر اليهما تلاميذ من جميع جهات اوربا الشمالية والى هوبرت فان ديك ينسب اكتشاف الطلاء المجفف الذي هو اكثر موافقة للمزج من سائر المواد التي كانت معروفة قبلهُ . واما تصوير الزيت فكان مستعملاً قبلهُ بمئة قرنين او ثلاثة قرون وقد استعمل الطريقة الحديثة المصورون الشماليون عموماً في النصف الاول من القرن الخامس عشر . وسنة ١٤٩٠ ادخل انطونلُو من مسيني تلك الطريقة الى ايطاليا وقام في ذلك الوقت مدرسة في انتورب خرج منها قبل اواسط القرن السادس عشر مصوران على الاقل من اول رتبة وهما كونتن متسس ولوكس فان ليدن وفي اول القرن السابع عشر كان ابتداء ازى عصر المدرسة الفلمنكية فان بطرس بولس روبنس كان من فحول المصورين فاحيا ما كان لفلورنسا والبندقية من المفاخر القديمة ولكن انطوني فان ديك اشهر تلامذتهِ كان اسهر منهُ وقد اوصل فن التصوير الى اعلى درجاتهِ ثم بعد القسم الاخير من القرن السابع عشر تاخر فن التصوير في فلندرا وبراينت الا انهُ انتعش قليلاً في القرن الحالي في تلك البلاد وبلدان اخرى من اوربا وقد تعاطاهُ كثيرون بنجاح

واما اسبانيا فتكاد مدرستها تكون وحيدة في تاريخ صناعة التصوير لاوربي من جهة اقتصارها في التصوير على موضوعات دينية ونسكية فان روساء الدين وضعوا قوانين لتصوير الاشياء المقدسة وتقوى المصورين حملتهم على الاقتصار في صناعتهم على تلك الموضوعات ويصعب الحكم بان التصوير وجد في اسبانيا قبل اواسط القرن الخامس عشر ولم يشتهر اسم مدرستها خارجها الا في القرن السابع عشر فان اتيان المصورين الفلمنكيين اليها في القرن الخامس عشر ثم مصورين ايطاليانيين بعد ذلك بقليل فتح بابًا لمصوريها الوطنيين للوقوف على طريقة عملية اللون والرسم الصحيحة وفي القرن السادس عشر كان بها مدارس للتصوير في قسطيلة وبلنسية واشبيلية وغيرها ربما كانت مدرسة اشبيلية اشهرها ومن مشاهير مصوري تلك المدارس ڤيشنتي يودنس الذي يلقب احيانًا برافائيل الاسبانيولي واخرون واكثرهم تعلموا الفن في ايطاليا ونبغوا في القرن السادس عشر . وريا غورو دو يغوز دوسليقا وبرتولومي استيبان موريلو ها اللذان جعلا صناعة التصوير الاسبانيولي معروفة ومعتبرة في جميع اقسام العالم المتمدن

واما فرنسا فكانت صناعة التصوير مستعملة فيها منذ ايام شارلمان ولكن لم يوجد بها مدرسة وطنية للتصوير الا بعد ان اتاها بريمنتيشيو واخرون من المصورين الايطاليان بطلب فرنسيس الاول وقد خرج منها مصورون بارعون اقتدوا بالمصورين الايطاليانيين . واخذ التصوير يتاخر على الدوام في النصف الاخير من القرن الثامن عشر ولم يزل كذلك الى ان احياهُ جاكوي لويس دافيد حياة موقتة بالقرب من زمان الثورة الفرنسوية وكانت طريقتهُ عديمة الرونق ذات عجب وناقصة في صدق الدلالة الا انها تدل على براعتهِ في الهيئة وقد اقتدى بهِ غيرن وزمرة من التلامذة وكان غروس اول من ترك طريقة تقليد الاشياء القديمة وادخل هووجاريكولت وغيرهُ طريقة التصوير عن الطبيعة وكان ذلك اصل المدرسة الفرنسوية للتصوير الحقيقي وكان معاصرًا لجريكولت اوجين دي لاكروا الذي اسس مدرسة شعرية للتصوير والظاهر ان اتباعهُ اخذوا تصوراتهم عن كتابات غوث وبيرون واسكوت . ومن المصورين الذين نبغوا في الربع الاول من القرن الحالي انغرس تلميذ دافيد وابزابي وبرودون وروبرت فلوري وليوبولد روبرت . وهوراس ڤرنت الذي توفي سنة ١٨٦٣ كان مصورًا ماهرًا ولم يكن لهُ نظير في صور الحروب . والمدرسة الفرنسوية الحالية مشهورة بصحة الرسم والتركيب والاتقان . وصناعة التصوير المستعملة الان في فرنسا هي اكثر نجاحًا من السابق في اتباع اصول الفن وبهذا الاعتبار ربما كانت المدرسة الفرنسوية احسن

مدارس العالم ومن مشاهير معلميها ميسونيه في الاشخاص والتاريخ وجيرون في الروايات وادورد فلير وجول بريتون وكوتور وزامكوا وملّت وقد توفيا وكلاهما من افاضل ارباب الفن وهامون وكباتل وايبوليت فلندرن وديكان وبوغورو وليبرت وبونات وفرومنتين وبيل وايفون وفرتوني وهو اسبانيولي المولد ووفاته حديثاً هي خسارة عظيمة الصناعة الحديثة وغوسطاف دوري وغوسطاف كوربت وروزا بونور وهي مشهورة بتصوير الحيوانات واما في دائرة تصوير المناظر فالمقام الاول يجب ان يكون لتروبون . ومن مشاهير المصورين في تلك الدائرة روسو وكوروث المتوفى سنة ١٨٧٥ ودولبيني ودياز ولمينت

واما انكلترا فليس لها قبل القرن الثامن عشر ما يستحق الذكر من جهة فن التصوير واول الصور التاريخية المهمة التي صورها مصورون انكليز هي صور من قلم السر جمس تورنهل وكلي صورها داخل قبة كنيسة القديس بولس في لندن ولكن صهرهُ وليم هوغرث المشهور صاحب الصور الهجوية والذي كان من احسن مصوري عصرهِ هو اول مصور مشهور في تاريخ التصوير البريطاني ولكن لم يكن لهُ عند مصوري زمانهِ اعتبار كبير . وفضل اقامة مدرسة التصوير الانكليزية الحديثة ينسب الى السر جوشوا رينولد وهو مشهور في صور الاشخاص والتاريخ وبارع جداً في التلوين وكثيراً ما ناظرهُ توماس غينبرو في الصور الشخصية الاّ انهُ كان اشهر منهُ في تصوير المناظر وما صنعهُ من الصور يزين الصناعة في كل عصر . ومن المصورين الذين نبغوا في النصف الاخير من القرن الاخير رتشرد ولسن وكان بارعاً في تصوير المناظر وبري ورڤني ومرتيمر واوبي ونرثكوت وفوسلي وانجليكا كوفمان وكوبلي ووست وهم من المصورين التاريخيين وخيران منهم من اصل امركاني ومن المشاهير ايضاً وليم بلاك وهو عديم النظير في التصوير الرمزي وذو اقتدار لا نظير لهُ وتاثيرات رينولد في الاجيال التابعة لهُ في المصورين يستدل

عليها من الكرم الشديد للون الذي هو الآن صفة اولية للمدرسة الانكليزية . وفي الربع الاول من القرن الحالي نبغ السر توماس لورانس وهيتر وريبرن وجكسن وهم من مصوري الاشخاص وولكي وهوثاني هوغرث احسن مصور للحيوة الدنية بين جميع مصوري الانكليز وهيدن واتي وترزوجون مرتين واخرون كثيرون . وفي ذلك الزمان نبغ برد وسمرك وستوثرد وكانوا يشتغلون في الصور التاريخية والاخلاق . وقد حذا حذوهم في هذه الايام نيوتون ولسلي وكوبر واخرون كثيرون وكثير من هولاء صوروا المناظر والاشخاص بطريقة تدل على براعتهم في هذه الصناعة . والمدرسة الانكليزية لتصوير المناظر لا تزال في الرتبة الاولى في هذا الفن . وقد شغل السر ادوِن لنتسير المتوفى سنة ١٨٧٣ مقاماً سامياً في تصوير الكلاب وحيوانات الصيد . والمدرسة البريطانية للتصوير بلون الماء التي انشاها بول سندبي في اواسط القرن الماضي ربما كانت احسن مدرسة في العالم . وقد صورت بها صور مناظر تكاد لا تكون دون صوَر مصوري الزيت ومن جملة مصوريها ترنر وبروث وكوبلي فيلدنغ وروبرت وهنت ولويس وكانرمول وكوك وأبسولون وكربولد وناش وستانفيلد . وفي اول هذا القرن كان من صفات المدرسة الانكليزية المميزة الميل الى التصوير التخيلي وتوسيع دائرتهِ والاجتهاد في اتقانهِ وهذه الطريقة تسمى بالصناعة العالية . ثم اخذ تصوير العوائد العائلية بالتدريج مكان هذه الطريقة وصار الطريقة الغالبة الى هذه الايام وفي مدة ٣٥ سنة الاخيرة قامت مدرسة خصوصية ومن رجالها هالمن هنت وميلايس ودنت غبريل بوستي واخرون . وهولاء يقاومون طريقة التعليم الحديثة ويصورون الطبيعة كما هي حولهم بمساعدة العلم الحديث وباجتهاد يضاهي اجتهاد رجال القرنين ١٣ و١٤

واما الولايات المتحدة الامركانية فلم تتقدم في هذا الفن قبل القرن الحالي الا قليلاً وفي القسم الاول منهُ قام رجال منهم ملبون وغلبرت ستوارت وألستون وبرهنوا ان للامركان اقتداراً عظيماً في صناعة التصوير . ونحو سنة ١٨٢٥ انشأ

توماس كول مدرسة لتصوير المناظر ومنذ اواسط القرن الحالي بذل المصورون الامركان جهدهم في تصوير المناظر والناس واخذوا في اتقان هذه الصناعة حتى صار وايضاهون فيها مصوري اوربا

واما بلادنا فهذه الصناعة ليس لها فيها مدرسة خاصة بل تكاد تكون كغيرها من الصنائع نسيًا منسيًا ولا يوجد بها الا قليلون من المصورين الذين ليس شيء من صورهم يضاهي في رونقهِ واتقانهِ الصور الافرنجية ولهذا ترى ان اكثر الصور في الكنائس والبيوت قد اتي بهِ من اوربا على انهُ في هذه الايام قد انتبه بعضهم الى هذه الصناعة ولكن لاتزال دائرتها ضيقة لاتستحق الذكر

وتصوير الشمس او تصوير النور يطلب من فوتوغرافيا

تَضادٌّ
Contraste

التضاد يطلق في الاصطلاح على معانٍ منها التقابل والتنافي في الجملة وفي بعض الاحوال وبهذا المعنى وقع في تعريف الطباق . ومنها الطباق وهو الجمع بين معنيين متضادين وهو من مصطلحات اهل البديع . اطلب طباق . ويلحق بهِ ما يسمى بايهام التضاد وقد مر في باب الهمزة . ومنها كون المعنيين بحيث يمتنع لذاتيهما اجتماعهما في محل واحد من جهة واحدة والمعنيان يسميان متضادين اوضدين وهو من مصطلحات المتكلمين وعليهِ اصطلاح الفقهاء ايضًا فالضد عندهم يطلق على كل من المتقابلات مطلقًا . فقولهم معنيان اي عرضان يخرج العدم والوجود لانهما ليسا عرضين وكذا الجوهر والعرض والقديم والحادث والامور الاضافية . وقولهم لذاتيهما يخرج العلم بالحركة والسكون معًا فان هذين العلمين وان امتنع اجتماعهما لكن ليس لذاتيهما بل لاستلزامهما المعلومين اللذين يمتنع اجتماعهما لذاتيهما فلا يكون الواحد متحركًا وساكنًا معًا . واما اجتماع المحل فلم تشترطهُ المعتزلة وقالوا الضدان معنيان يستحيل اجتماعهما لذاتيهما في الجملة سواء كان في محل واحد او في محلين . ومنها التقابل بين امرين وجوديين بحيث لا يتوقف تعقل كل منهما على تعقل الاخر وهذان الامران يسميان بالمتضادين والضدين وهذا من مصطلحات الحكماء فالضدان عندهم اخص مما عند المتكلمين . والمراد بالوجودي ما لا يكون السلب جزءًا من مفهومهِ فخرج السلب والايجاب والعدم والملكة وبقولهم لا يتوقف خرج التضايف وهذا هو التضاد المشهوري سمي بذلك لاشتهارهِ بين عوام الفلاسفة وقد يشترط ان يكون بين هذين الامرَين غاية الخلاف والبعد كالسواد والبياض فانهما متخالفان متباعدان في الغاية دون الحمرة والصفرة اذ ليس بينهما ذلك الخلاف والتباعد فانهما متعاندان لا ضدان . وهذا هو التضاد الحقيقي لكونهِ المعتبر في العلوم الحقيقية . والفرق بين الضد والنقيض ان النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان كالعدم والوجود والضدان لا يجتمعان لكن يرتفعان كالسواد والبياض . واعلم ان التضاد لا يكون الا بين انواع جنس واحد اي لا تضاد بين الاجناس اصلًا . ولا بين انواع ليست مندرجة تحت جنس واحد ولا يكون الا بين الانواع الاخيرة المندرجة تحت جنس قريب كالسواد والبياض المندرجين تحت اللون الذي هو جنسهما القريب . وضد الواحد الحقيقي لا يكون الا واحدًا

تَضْمين

التضمين عند اهل العربية يطلق على معانٍ منها اعطاء الشيء معنى الشيء او ايقاع لفظ موقع غيرهِ لتضمنهِ معناهُ ويكون في الحروف والافعال وذلك بان يتضمن حرف معنى حرف او فعل معنى فعل اخر ويكون فيهِ معنى الفعلين معًا وذلك بان ياتي الفعل متعديًا بحرف ليس من عادتهِ التعدي بهِ فيحتاج الى تاويلهِ او تاويل الحرف ليصح التعدي بهِ والاول تضمين الفعل والثاني تضمين الحرف . نحو عين يشرب بها عباد الله فان يشرب يتعدى بمن فتعديتهُ بالباء اما على تضمينهِ معنى يروى ويتلذذ او تضمين الباء معنى من وهو التضمين النحوي . واما التضمين البياني فهو حذف حال مفهومة من المعنى يعلق بها الحرف مثلًا بان